

خطبة الجمعة - الخطبة ٨١٦ : خ ١ - فهم الأحداث من خلال الكتاب والسنة ، خ ٢ - الإنفاق .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-١٢-٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده، ونستعين به، ونسترشد به، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له وليناً مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله، سيد الخلق والبشر ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

تفاوت الناس في تأويل الأحداث :

أيها الأخوة الكرام، فكرة هذه الخطبة حول قوله تعالى:

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْبِّشُرُونَ﴾

[سورة الزمر: ٤٥]

قبل أن نقف وقفه متأنية عند هذه الآية لا بد من تمهد.

إنسان يركب مركبته في أثناء سيره تألق ضوء أحمر في اللوحة التي أمامه، وإنسان آخر، وآخر، ولو أن مئة إنسان في أثناء قيادة مركباتهم تألق ضوء أحمر على لوحتهم معروفة، ما الذي يحصل؟ من يملك التفسير الصحيح لسبب تألق هذا الضوء هو الذي ينجو، هذا ضوء خطر، أي الزيت في المحرك أصبح قليلاً جداً، المحرك على وشك أن يحترق، الذي يملك التفسير الصحيح لتألق هذا الضوء يقف فجأة، ويحل المشكلة بمئة ليرة سورية، أما الذي يظن أن هذا الضوء ضوء تزيفي، ويستمر في قيادة المركبة يكلفه إصلاحها فوق الأربعين ألفاً، إذاً ليست العبرة أن أصدق أو لا أصدق تألق المصباح، العبرة أن أفهم ماذا يعني تألق المصباح لأن سلوكى سوف يبني على فهمي الصحيح لتألق هذا المصباح، إن أيقنت أن هذا التألق يعني أن هناك خطراً أقف فجأة، وأزود المحرك بالزيت، فأحل هذه المشكلة بمئة ليرة، أما حينما أفهمه فهماً مغلوطاً، أفهمه على أنه ضوء تزيفي وأنتابع السير فقد يكلفني إصلاح المحرك ما يزيد عن أربعين ألف ليرة. العبرة في التفسير لا في التأكد من الحدوث، موضوعات كثيرة إما أن تؤولها، أو أن تفهمها فهماً توحيدياً

دينياً فرانياً فيبني على هذا الفهم سلوك فيه نجاة وفيه فوز، وإما أن تفهم هذه الأحداث التي وقعت فيماً أرضياً شركياً تنشأ الأحقاد وينشأ الشقاء، وقد يقود هذا الفهم الخاطئ لما يجري إلى نهايات لا تحمد عقباها، هذا محور الخطبة.

أيها الأخوة الكرام، لو أن حدثاً كبيراً في الأرض كالذي جرى في الحادي عشر من أيلول فهمناه فهراً لقوة كبيرة تستقطب العالم كله، إذا فهمناه فهراً ينبغي أن نذل، وأن نخضع، وأن نرضى، وأن ننبطح، وأن نركع، أما حينما نفهمه تسلি�طاً.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَطَّهُمْ عَلَيْكُمْ﴾

[سورة النساء: ٩٠]

إن فهمناه تسلি�طاً نعود إلى الله عز وجل، ونرجع إليه، ونتوب إليه، ونصلح معه، ونقبل عليه، فرق كبير في فهم الأحداث، أنا أعتقد أنه ما من إنسان على وجه الأرض إلا ورأى بأم عينه ماذا جرى في الحادي عشر من أيلول، وكان تفاؤلت الناس لا في تصديق أو تكذيب ما حدث ولكن في تأويل ما حدث، في تفسير ما حدث، إما أن تفسر الأحداث تفسيراً توحيدياً إلهياً، وإنما أن تفسر ما حدث تفسيراً أرضياً شركياً، التفسير التوحيدى يقودك إلى التوبة، يقودك إلى الصلح مع الله، يقودك إلى الإقبال عليه، يقودك إلى إصلاح بيتك الداخلى، يقودك إلى إصلاح علاقتك مع الآخرين، يقودك إلى إصلاح كسب مالك، أما التفسير الأرضي فيولد في نفسك الحقد واليأس والخوف والخنوع والخضوع، وشتان بين التفسيرين.

بطولة الإنسان أن يفهم الأحداث فيماً توحيدياً :

أيها الأخوة الكرام، ليست العبرة أن أرى ما حدث، العبرة أن أفهم الذي حدث، لأن الفهم الصحيح ينبغي أن يقودني إلى السلام، وينبغي أن يقودني إلى السعادة، لذلك يمتاز المؤمن عن سواه بأنه يملك التفسير الصحيح، لا من عنده ولكن من عند خالق السموات والأرض، يملك التأويل الصحيح لكل ما حدث وما يحدث وما سيحدث، المؤمن معه نور من الله، إنه القرآن الكريم، معه تبيين لما في هذا النور إنه قول النبي الكريم، المؤمن يملك التفسير، يملك بالتعبير المعاصر فلسفة صحيحة للكون والحياة والإنسان، يملك تفسيراً أو فلسفة صحيحة لسر وجود الإنسان، وغاية وجوده، والحكمة من وجوده، والرسالة التي أنيطت به، ابحث عن التفسير الصحيح، مثل قريب منا: أحداث جرت إلى جوارنا دامت عشرات السنين، وأزهقت مئتي ألف إنسان، لها تفسير أرضي شركى يزيد الأحقاد، ويزيد الألم، ويزيد اليأس، ولها تفسير علوى إلهي توحيدى.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيَّةً كَانَتْ أَمْنَةً مُطْمَنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخُوفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النحل: ١١٢]

هذا هو التقسيير المعتمد، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿مَا يَفْعُلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتَمْ﴾

[سورة النساء: ١٤٧]

إذاً هناك نقص في الإيمان أو نقص في الشرك.

﴿فَإِيَّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة الأنعام: ٨١ – ٨٢]

أي موضوع في الحياة له تفسير توحيد قرآنی وتفسیر أرضی شرکی :

أيها الأخوة، لنأتي على بعض التفصيات، مرض الإيدز الذي قضى على اثنين وعشرين مليون إنسان في العالم، والذين يحملون هذا المرض ستة وخمسين مليون إنسان الآن، شغل الغرب الشاغل أن يبحث عن مصل مضاد لهذا الفيروس، لأنه فهمه فيروسًا، قوته في ضعفه، وقوته في خفائه، وقوته في تلونه، هناك أشكال تشبه أشكال الكريات البيضاء، قوة هذا الفيروس أنه على شكل كرية بيضاء، فالكريات البيضاء في الجسم لا تحاربه، تتوجه أنه منها، بعد أن يتمكن يفتاك في الجسم، حينما نفهم هذا المرض على أنه فيروس ليس غير نحاول أن نبحث عن مصل له، أما حينما نفهم أن هذا المرض عقاب من الله عز وجل على الفساد في الأرض كما قال الله عز وجل:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذْيِقُهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة الروم: ٤١]

كان من الممكن ألا يذيق الله الناس بعض الذي عملوا، إذاً لا يرجعون، يزدادون في انحرافهم وانحلالهم، علة أن يذوق الناس نتائج معصيتهم في الدنيا أن يرجعوا إلى الله، ويسلموها، ويسعدها، حينما نفهم هذا المرض عقاباً إلهياً، فالبعوضة عندما تغرس خرطومها في جسم المصاب بمرض الإيدز ثم تذهب إلى إنسان سليم معافي وتغرس خرطومها في جسم السليم المعافي لا يتنتقل هذا المرض عن طريق البعوض، مع أن الدم يختلط، لا ينتقل إلا عن طريق الانحرافات الجنسية، حينما نفهم هذه الحكمة علاجه بسيط جداً، صون سلوكنا من كل انحراف أكبر علاج له، العالم كله شارد عن هذه الحقيقة، يبحث عن مصل مضاد له ولا يراه عقاباً إلهياً على انحراف أو سلوك، إذاً أين النجاح؟ في حسن التفسير.

الجفاف الذي نعانيه ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يرحمنا، ونحمد الله على أن رحمنا أيضاً، هذا الجفاف حينما تفسره تفسيراً شركياً أرضياً من انتقال خطوط المطر، وبانتقال التصحر، وبارتفاع نسب غاز الأوكسجين ماذا تفعل؟ هذا واقع، هذا قهر، إذاً سوف نعاني من أزمات اقتصادية لقلة الإنتاج الزراعي، ولقلة المياه، أما حينما تفسر الجفاف تأديباً من الله عز وجل على معصية العباد.

﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتَنَاهُمْ فِيهِ﴾

[سورة الجن: ١٦ – ١٧]

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بِرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الأعراف: ٩٦]

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

[سورة المائدة: ٦٦]

وقس عليه القرآن.

﴿لَا كُلُّوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ﴾

[سورة المائدة: ٦٦]

عندئذ بدل أن ننيس، ونشتاءم، ونتوقع الفقر المدقع، نعود إلى الله نصلح معه، ونصلي صلاة الاستسقاء مع إزالة المظالم، هكذا علمنا النبي عليه الصلاة والسلام، تفسير الجفا إما أن يقودنا إلى اليأس وإلى القلق وإلى الله، أو أن يقودنا إلى الصلح مع الله، أعود وأكرر البطولة في صواب تفسيرك ما حدث، ما حدث حدث، والكل يعلم أنه حدث، ولا يستطيع إنسان أن ينكر ما حدث، لكن الناس يتغافلون في تأويلهم وتفسيرهم لما حدث، الموت مثلاً من ما على سطح الكره الأرضية في القارات الخمس أو السنتين كما يقولون من خلال ستة آلاف مليون إنسان من هؤلاء البشر يجرؤ أن ينكر حدث الموت؟ أبداً، بماذا يتغافل الناس؟ هناك من يرى أن الموت نهاية الحياة، لذلك..

فإن كنت لا تستطيع دفع مني فدعني أبادرها بما ملكت يدي

لذلك يقول لك: بما أن العمر محدود فعش حياتك، هذا الذي يفهم أن الموت نهاية الحياة، أما الذي يفهم أن الموت بداية حياة أبدية يتغير سلوكه مئة وثمانين درجة، فهم الموت ليس هناك من دين ولا ملة ولا محبة ولا اتجاه ولا مذهب ولا طائفة تذكر حدث الموت، ولكن المؤمن يفهم حدث الموت بداية حياة أبدية سرمدية.

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاةِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذَّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُؤْتَقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾

[سورة الفجر: ٢٤ - ٢٦]

هذا الموضوع طويل جداً أيها الأخوة، أي موضوع في الحياة له تفسير توحيدى إلهى قرآنى نبوى وله تفسير أرضى شركى مصلحى:

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾

[سورة الزمر: ٤٤]

أنت بالتفصير الإلهى، بالتعليل القرأنى، بالتوجيه النبوى:

﴿إِشْمَأَزْتُ قُلُوبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾

[سورة الزمر: ٤٤]

التفسير التوحيدى يعطيك قوة لا حدود له أما التفسير الشركى فيوقعك باليأس :

إنسان - سمعت هذه القصة من عشرين عاماً - يعمل في التجارة في تجارة الأقمشة، عنده موظف اختلف معه فطرده، فاشتكى عليه فضبتو المستودعات فإذا في المستودعات بضاعة ليست نظامية، كلفوه قبل عشرين عاماً بستمائة ألف، وعلم هذا التجار أن الذي سبب هذه المصيبة التي فوق طاقته هو هذا الموظف، في ساعة غضب أطلق النار عليه فأرداه قتيلاً، حكم بثلاثين عاماً في السجن، هذا لو فهم هذه المصيبة أن الله سمح بها، وأن هذا الموظف كان أداة، كان موحداً لله، فبحث عن ثغراته وعن أخطائه السابقة وتلافاها وأكرمه الله بالتعويض، فرق كبير بين أن تحد ويبين أن تتوب، التفسير الأرضي الشركي لما يحدث يجعلك تحد، أو تبرم، أو تئس، أو تنزل، أو تخن، لكن التفسير التوحيدى الإلهي القرانى النبوى لما حدث يعطيك قوة لا حدود لها، تنهض وتصطلح مع الله، وتعود إليه، وتتوب إليه، وتقبل عليه، وتتال منه ما تريد.

مرة ثانية:

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾

إذا فسرت الأمور تفسيراً توحيدياً إليهاً ،

﴿أَشْمَأَزْتُ قُلُوبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾

أما إذا فسرت الأحداث تفسيراً أرضياً شركياً قوى متصارعة، أقوياء وضعفاء، أذكياء وأغبياء، مخلصون وخونة، حينما تفهم الأحداث تفسيراً أرضياً نقع باليأس.
أيها الأخوة الكرام ، إذا فسرت العداوة والبغضاء تناقض مصالح، تتعقد هذه العداوة والبغضاء،
أما إذا فهمت العداوة والبغضاء كما ذكرها الله عز وجل فقال:

﴿فَنَسُوا حَطَّا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاوَةَ وَالْبُغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

[سورة المائدة: ١٤]

ما من عداوة أو بغضاء بين جهتين، بين فتئين، بين شخصين، بين جماعتين، بين أمتين، وبين شعوبين، إلا بسبب أن أحدهما أو كلاهما ابتعدا عن منهج الله،

﴿فَنَسُوا حَطَّا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاوَةَ وَالْبُغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

أي قرأت إحصاء عن إفلاس الشركات في أوربا، تسعه عشرة عشر الشركات التي أفلست بسبب سوء الإداره، ونصف بالعشرة بسبب حدث سماوي، ونصف بالعشرة بسبب اختلاس، أم التسعه عشر بسبب سوء الإداره، الآن تسعه عشر مصائبنا بسبب سوء الفهم، سوء الفهم عن الله عز وجل، التيسير والتعسير، قد نفهم التيسير فهاماً أرضياً شركياً، تيسير بشبكة علاقات عامة متينة في كل مكان، لك صاحب يدعوك، هذا تفسير شركي أرضي، وهناك تفسير توحيدى قرآنى.

﴿فَمَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى * فَسَتَّيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى * وَمَنْ بَخْلَ وَاسْتَقْنَى *
وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى * فَسَتَّيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

[سورة الليل: ٥ - ١٠]

بين أن تقيم علاقات، تقدم الهدايا، وتقيم الولائم، وتدفع المبالغ الطائلة من أجل أن تقيم شبكة علاقات عالية جداً حتى تتيسر أمورك هذا فهم أرضي شركي، وبين أن تستقيم على أمر الله، وأن تعطي مما أعطاك الله، وأن تصحح عقيدتك، عندئذ الرد الإلهي هو التيسير، فرق كبير.

الشقاء الأسري.

(ما تواط اثنان، فرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما))

[أخرجه أحمد عن ابن عمر]

أعرف مقامي عند ربِّي من أخلاق زوجتي كما قال أحد العارفين. حينما تفهم الشقاء الزوجي بسبب مخالفة ارتكبها أحد الطرفين أو كلاهما تعود إلى الله عز وجل، أما حينما تفهم الشقاء الزوجي لأنَّ هذا نصيب وهذا قضاء وقدر وهذا نصيبي في الحياة ولم أوفق في هذا الزواج فأنت في ألم دائم، وفي حسرة دائمة، وفي سوء ظن بالله دائم.

المصيبة دواء من الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام، المصيبة إنْ فهمتها مصيبة بمعناها اللغوي تصيب الهدف تشعر أنها دواء من الله.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾

[سورة لقمان: ٢٠]

النعم الباطنة هي المصيبة، لو لا المصيبة لما عدت إلى الله، لما اصطلحت معه، بل إني أعتقد أن تسعين بالمائة من المؤمنين الصادقين الملتزمين المحسنين سبب عودتهم إلى الله واصطلحهم معه وتوبتهم إليه أن الله ساق لهم مصيبة، فخافوا فالتجأوا وأقبلوا، بين أن تفهم المصيبة فهماً حاقداً، فهماً يائساً، وبين أن تفهمها علاجاً ربانياً حكماً، بين أن ترى المصيبة أن يد الله تدخلت، وأن يد الله رحيمة تحركت وفعلت.

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

[سورة الفتح: ١٠]

حينما تقرأ هذه الآية:

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

لا تحدُّ على أحد، لا تقف موقفاً شديداً، لا.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبُغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَاتِهِ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

[سورة الشورى: ٣٩ - ٤٠]

ولكن فهمك للمصيبة فهماً توحيدياً إليها قرآنياً لا يحملك على أن تحدُّ على أحد، تماماً كما لو أن إنساناً ضرب آخر بعصا، الآخر هل يحدُّ على العصا؟ يكون مجنوناً، يحدُّ على الضارب، فإذا كان كل هؤلاء الأشرار في الأرض، أو كل هؤلاء الدواب في الأرض عصي بيد الله، والله كماله

مطلق، ما الذي يحصل؟ ردت الكرة إلى ملعبك، بدل أن تخدع، هذا الذي آذاني بيد الله عز وجل
وأ والله سمح له، بل سلطه علينا.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسْطَطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾

[سورة النساء: ٩٠]

لماذا سلطه عليك؟ الله عز وجل يقول:

﴿وَمَا أَصَابُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ﴾

[سورة الشورى: ٣٠]

آية واضحة لا تحتاج لا إلى تفسير الزمخشري، ولا إلى تفسير البيضاوي، ولا إلى الجلالين، ولا
إلى الطبرى، ولا إلى أي تفسير آخر.

﴿وَمَا أَصَابُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾

[سورة الشورى: ٣٠]

أمثلة عن الفهم التوحيدى و الفهم الشركي :

أيها الأخوة الكرام، زواج الفتاة حينما تتوهם الفتاة لبعدها عن الله أنها إن لم تبرز مفاتحتها، وإن لم تختلط بالناس، وبكل المجتمعات، ومع الرجال، ومع الشباب، لا تتزوج، هذا تفسير شركي أرضي، وحينما ترى الفتاة أن الزواج نعمة من الله، وأن الله لا ينساها من فضله، فهي لا تعصي الله أبداً، تعتقد أنها على الله دون أن تعصيه، نماء المال حينما ترى أن بالحسابات السريعة على الآلات الحاسبة أنك إذا وضعته في مؤسسة ربوية در عليك مبلغًا كبيرًا، عافاك من كل مشكلة في الحياة لا تعب، ولا تأسيس عمل، ولا سرقة موظفين، ولا تلف بضاعة، ولا ضرائب، ولا هم يحزنون، ترى بالعقل القاصر أن استثمار الأموال في البنوك شيء مريح، وحينما تغفل عن كلام الله أن الله يمحق الربا، وقد محققت سبعمئة مليار دولار في بلاد الغرب وجمنت وسوف تؤخذ كلها لأن أصحابها آثروا أن تتمو عند الكفار، فذهبت بأكملها وهذا معنى قوله تعالى:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾

[سورة البقرة: ٢٧٦]

الله شرع نماء المال بالأعمال لا أن يلد المال المال، بعقولك قد تقول: نماء المال بالمال أريح، لا يوجد عمل، ولا جهد، ولا مسؤولية، ولا ضرائب، ولا مشكلة، تضعه في مكان آمن، فإذا بها المال يذهب كلها.

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيَرْبِبِي الصَّدَقَاتِ﴾

[سورة البقرة: ٢٧٦]

حينما تفهم الأمور فهماً توحيدياً إلهياً قرآنياً أن سلامة المال لا في وضعه في بنوك بعيدة جداً وبأرقام سرية، لا، سلامة المال تتأتى من مشروعية كسبه، ومن أداء زكاته فقط، فإذا كسبت المال

الحال وأديت زكاته صانه الله لك، وحفظه من التلف، فرق كبير بين أن تفهم الأمور فهماً توحيدياً قرآنياً نبوياً سماوياً، وبين أن تفهم الأمور فهماً أرضياً شركياً مصلحياً.

الحياة الضنك تفهمها بالفقر، فتركض وراء المال ليلاً نهاراً: "عبدِي خلقت لك السموات والأرض ولم أعي بخلقهن، أفيعيبني رغيف أسوق لك كل حين؟ وعزتي وجلاي لي عليك فريضة ولك علي رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك، وعزتي وجلاي إن لم ترض بما قسمته لك – دققوا الآن – فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً، أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعنتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد".

السعادة ليست بالمال فقط إنما بمعرفة الله وطاعته والقرب منه أيضاً :

أنت حينما تفهم أن الحياة الضنك هي الفقر تقع في شر عملك، تركض وراء المال إلى أن تكون ضحية المال، إلى أن تكون من نتائج الهالك سعيك الحديث وراء المال، لأن الدنيا تغير وتضر وتمر، والذي يسعى إلى المال فقط كل رأس ماله بضربات قلبه، فإذا توقفت أصبح كل شيء ليس له.

أيها الأخوة الكرام، الله عز وجل قال:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾

[سورة النحل: ٩٧]

أي ذكر وأي أنثى على وجه الأرض.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيهِ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

[سورة النحل: ٩٧]

أما إذا فهمت الشقاء بالفقر فقد قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾

[سورة طه: ١٢٤]

لو معك أربعة آلاف مليون، لو معك تسعون مليار دولار.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ ذَلِكَ﴾

[سورة طه: ١٢٦ - ١٢٤]

كنت أعمى في الدنيا.

﴿أَتَتَكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾

[سورة طه: ١٢٦]

السعادة ليست بالمال فقط، المال قوام الحياة، السعادة بمعرفة الله، وطاعته، والقرب منه، هذه هي السعادة، فهمك للسعادة إن كان أساسه المال فأنت واهم، وقد تسعى لكتبه كما قال الله عز وجل:

﴿كَانُوكُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾

[سورة المدثر: ٥٠ - ٥١]

لِيَلًا نهاراً، ثم يأتي ملك الموت فجأةً وأنت صفر اليدين، أما إذا كسبته باعتدال، وكان في خدمتك لا في خدمته، هناك خط في سلم المال، تحت هذا الخط هو في خدمتك، فوق هذا الخط أنت في خدمته.

العاقل من يفهم كل شيء من خلال القرآن والسنة :

أيها الأخوة الكرام، أنا ذكرت أمثلة عشوائية في كل ما يجري، وفي كل ما سيجري، إياك أن تنسى التفسير الإلهي، ما في القرآن وما في السنة، قد يذهب إنسان إلى بلد عربي، أقول لكم بالتأكيد لو أنه ضعيف الإيمان يختل توازنه، لماذا؟ يرى فسقاً وفجوراً وتغلقاً لا حدود له، ويرى غنى ورفاهة وأمطاراً وأبنية وحدائق وحاجات لا حدود لها، إذا وازن بين بلاد المسلمين وبين بلاد هؤلاء يختل توازنه، أما إذا قرأ القرآن وفهم التفسير الإلهي.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذَنَاهُمْ بَغْتَةً﴾

[سورة الأنعام: ٤٤]

﴿فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أُولَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة التوبه: ٥٥]

﴿لَا يَغُرِّنَكَ تَقْلِبُ الظِّنَّينَ كَفُرُوا فِي الْبَلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبَئْسَ الْمَهَادُ﴾

[سورة آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧]

﴿تَحْسِبَنَ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾

[سورة إبراهيم: ٤٢]

يقنع بما آتاه الله، ويحب بلده، لأن فيها معالم الدين، هناك من يأتي إلى بلده الشام يسجد في المطار شكرًا لله على أنه عاد إليها، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: أخرج الحافظ أبو بكر النجار في جزء التراجم عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((بينما أنا نائم رأيت عمود الإسلام احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام، إلا فإن الإيمان حين تقع الفتنة بالشام))

[الحافظ أبو بكر النجار في جزء التراجم عن أبي الدرداء]

هناك من يفهم أن النبي عليه الصلاة والسلام قصد أن في الشام أعمالاً كثيرة، ودخلًا كبيراً، وبيوتاً جميلة، لا ! ما قصد النبي هذا إطلاقاً، هذا فهم أهل الدنيا، قصد النبي أن عاصمة الإسلام في آخر الزمان هي الشام، وأن الإيمان في الشام، وأن العلم الشرعي في الشام، وإذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لذلك يعود إليها راضياً بوصف الله لها، العبرة إليها الأخوة أن نفهم كل شيء من خلال القرآن والسنة، أن نفهم كل شيء من خلال تفسير خالقه لنا، هذا هو الإيمان.

أيها الأخوة الكرام ، حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنأخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواه، وتمنى على الله الأماني.

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبـدـه ورسـولـهـ، صـاحـبـ الـخـلـقـ العـظـيمـ، اللـهـمـ صـلـّـيـ وـسـلـّـمـ وـبـارـكـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ.

إنفاق المال يطهر الغني و الفقير و المال :

أيها الأخوة الكرام، يقول الله عز وجل :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾

[سورة التوبـةـ: ١٠٣]

من تفـيدـ التـبـعيـضـ أيـ خـذـ بـعـضـ أـمـوـالـهـمـ، لـيـسـ فـيـ الإـسـلـامـ كـلـهـ أـيـ خـذـ المـالـ كـلـهـ مـصـادـرـةـ،
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾

وجاءـتـ الـأـمـوـالـ جـمـعـاـ لـأـنـ الزـكـاـةـ وـاجـبـةـ فـيـ كـلـ الـأـمـوـالـ، فـيـ عـرـوـضـ الـتـجـارـةـ، وـفـيـ النـقـدـيـنـ،
وـفـيـ الـزـرـوـعـ، وـفـيـ الثـمـارـ، وـفـيـ إـلـىـ ذـلـكـ "ـصـدـقـةـ"ـ الصـدـقـةـ سـمـيـتـ صـدـقـةـ لـأـنـهـ تـؤـكـدـ صـدـقـةـ
إـيمـانـهـمـ، وـصـدـقـ مـحـبـهـمـ، فـإـنـفـاقـ الـمـالـ أـغـلـىـ عـنـهـ مـنـ كـنـزـهـ اـبـتـغـاءـ مـرـضـاـةـ اللهـ.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾

[سورة التوبـةـ: ١٠٣]

الـغـنـيـ يـتـطـهـرـ بـالـزـكـاـةـ مـنـ الشـحـ، وـقـدـ بـرـئـ مـنـ الشـحـ مـنـ أـدـىـ زـكـاـةـ مـالـهـ، وـالـفـقـيرـ يـتـطـهـرـ بـالـزـكـاـةـ مـنـ
الـحـقـدـ، لـاـ شـحـ عـنـدـ الـغـنـيـ، وـلـاـ حـقـ عـنـدـ الـفـقـيرـ، وـالـمـالـ نـفـسـهـ يـطـهـرـ مـنـ تـعـلـقـ حـقـ الغـيرـ بـهـ، فـالـحـجـرـ
الـمـغـصـوبـ فـيـ الـبـنـاءـ سـبـبـ اـنـهـاـمـهـ، الـحـجـرـ الـمـغـصـوبـ فـيـ الـبـنـاءـ رـبـماـ كـانـ سـبـبـ اـنـهـاـمـهـ، وـالـمـالـ
الـذـيـ تـعـلـقـ بـهـ حـقـ الغـيرـ دـوـنـ أـيـ بـؤـدـيـ سـبـبـ لـإـتـلـافـهـ.

وـمـاـ تـلـفـ مـالـ فـيـ بـرـ أـوـ بـحـرـ إـلـاـ بـحـسـ الـزـكـاـةـ. تـطـهـرـهـمـ، تـطـهـرـ الـغـنـيـ وـالـفـقـيرـ وـالـمـالـ.

﴿وَتُزَكِّيهِمْ﴾

[سورة التوبـةـ: ١٠٣]

الـزـكـاـةـ النـمـوـ، تـنـمـوـ نـفـسـ الـغـنـيـ، يـرـىـ أـنـ لـهـ عـمـلاـ عـظـيـماـ، يـرـىـ أـنـ رـسـمـ الـبـسـمةـ عـلـىـ وـجـوهـ
الـبـائـسـيـنـ، يـرـىـ أـنـهـ قـدـ زـوـجـ الشـبـابـ، عـالـجـ الـمـرـضـىـ، لـهـ وـجـودـ قـوـيـ فـيـ الـمـجـمـعـ، لـهـ مـهـمـةـ كـبـيرـةـ
فـيـ الـمـجـمـعـ، أـحـدـ أـرـكـانـ الـمـجـمـعـ الـغـنـيـ، لـمـاـذاـ؟ـ لـأـنـهـ بـمـالـهـ يـحلـ مشـكـلـاتـ الـآـخـرـيـنـ، تـنـمـوـ نـفـسـهـ،
يـرـىـ أـنـهـ قـرـيبـ مـنـ اللهـ عـزـ وـجـلـ، يـرـىـ أـنـ اللهـ يـحـبـهـ، يـرـىـ أـنـهـ فـيـ خـدـمـةـ عـبـادـ اللهـ، يـرـىـ أـنـ اللهـ مـاـ
أـكـرـمـهـ إـلـاـ لـيـكـونـ سـبـبـ لـحـلـ مشـكـلـاتـ عـبـادـهـ، تـنـمـوـ نـفـسـهـ، وـالـفـقـيرـ حـيـنـاـ يـأـتـيـ الـغـنـيـ وـيـعـطـيـهـ زـكـاـةـ

ماله يرى أنه ليس مهملاً في المجتمع، ليس منسياً، ليس مهاناً، هناك من يهتم به، من يهتم بأسرته، بأولاده، بطعامه، بشرابه، بكسوته، بتعليم أبنائه بمعالجته، تنمو نفس الفقير، وتنمو نفس الغني، وينمو المال نفسه بالزكاة.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْفِهُ﴾

[سورة سباء: ٣٩]

((أنفق بلا ولا تخش من ذي العرش إقلالاً))

[البزار من حديث ابن مسعود وأبي هريرة]

وفي الأثر القدسى :

((أنفق يا بن آدم أنفق عليك))

[البخاري عن أبي هريرة]

فالمال نفسه ينمو، والغني نفسه تنمو، والفقير نفسه تنمو، أما نمو المال بطريقين، إما بطريق وفرة القوة الشرائية بأيدي الفقراء، إن أعطيت الفقير خمسة آلاف ماداً يفعل بها على العيد؟ سيسترى قميصاً وطعاماً ولحاماً وغذاء، وما إلى ذلك، هو سيسترى من الغني مرة ثانية، إذاً تروج الأسواق إذا دفعت الزكاة، وقد ينمو المال بطريقة إلهية لا نعلمها طريقة الحفظ الإلهي، الله عز وجل يلهم هذا الذي أنفق زكاة ماله طريقاً ينمو ماله بالعنابة الإلهية المباشرة، وهذه يعرفها الأخوة الكرام جزاهم الله خيراً الذين يؤدون زكاة أموالهم.

الزكاة إليها الأخوة تؤخذ ولا تعطى، هذا الأمر موجه لا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بل على أنه ولي أمر المسلمين:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُرْكِيمُّهُمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾

[سورة التوبه: ١٠٣]

الفرق بين الزكاة و الصدقة :

فيما إليها الأخوة الكرام، رمضان موسم الإنفاق، موسم البر والإحسان، موسم أداء الزكاة، موسم أداء الصدقة، وأنا ألتقي بأناس كثرين ليس مستعداً أن يدفع قرشاً خارج الزكاة، يحاور أيجوز أن أعطي الزكاة لأولادي؟ لأولاد أو لادي؟ لأبي؟ يبحث عن أن يعطي الزكاة إلى من تجب عليه نفقته، فإذا فعل ذلك كأنه ما زكي إطلاقاً.

للإمام الشافعى قول دقيق أنه من أدى زكاة ماله لمن لا يصلى إنكاراً لوجوبها لا تقديرأ لها لا تسقط عنه الزكاة، إنكاراً لوجوبها، من أنكرها فقد كفر، والزكاة تؤخذ من أموال المسلمين وت رد إلى فرائهم، أما الصدقة فبابها مفتوح، يسع كل شيء، يسع بناء المساجد، يسع تأليف الكتب، طبع الكتب، توزيع الأشرطـة، يسع إقامة المعاهـد، إقامة المصـحـات، يسع كل شيء، بل إن الله عز وجل يفرق بين الزكـاة وبين الصـدـقة، قال:

﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾

[سورة البقرة: ١٧٧]

معنى ذلك إيتاء الزكاة فريضة، وإيتاء المال على حب الله باب آخر، وفي المال حق سوى الزكاة، فهذا الذي ليس مستعداً أن يدفع ليرة واحدة إلا من الزكاة، حتى أن بعضهم يتورم أنه إذا دفع الضرائب فهي من الزكاة، الضرائب مقابل خدمات تؤديها لك الدولة، أي الغرامات والضرائب كل شيء يجب أن يجعله من الزكاة بل حتى البضاعة الكاسدة التي لا تباع معه يؤديها زكاة بسعر ثمنها رائحة، وكأنه ما دفع الزكاة، أي لا يوجد شيء أعظم من أن تنفق من مالك في سبيل الله، من زهوة مالك، من أفضل شيء في مالك.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا
واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك، وإنك لا يذل من وليت، ولا
يعز من عاديت، تبارك ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغرك ونتوب إليك، اللهم
هب لنا عملا صالحاً يقربنا إليك، اللهم أعطانا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا،
أرضنا وارض عنا، اسكننا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ولا تهلكنا بالسنين، ولا تؤخذنا بفعل
المسيئين، يا رب العالمين، اللهم دمر أعداءك أعداء الدين، اللهم أهلك الشرك والمشركين، اللهم
اجعل تدميرهم في تنبيرهم، واجعل الدائرة تدور عليهم يا رب العالمين، اللهم انصر جنداً
ال المسلمين في شتى بقاع الأرض، في شمالها وجنوبها، في شرقها وغربها، إنك على ما تشاء
قدير، اللهم ألف قلوب ولاة المسلمين، ألهمهم أن تكون كلمتهم واحدة يا رب العالمين، اللهم وفق
ولاة الأمور لما تحب وترضى، واجمعهم على الخير والهدى، إنك على ما تشاء قدير، وبالإجابة
جدير.

والحمد لله رب العالمين